

«قلبي اطمأن» تجسيد البعد الإنساني للقوة الناعمة

منصات الإخوان أزعجها نجاح البرنامج فحاولت تشويهه بتسييس أهدافه



قدم برنامج «قلبي اطمأن» مثالا مفيدا عن تضافر المادة الإعلامية الرصينة مع البعد الإنساني في سياسات الدول، فحقق نجاحا يليق بخصوصياته الفنية والإنسانية، لكن الإجماع العربي على نجاح البرنامج لم يحل دون وجود أصوات ومنصات إخوانية لم تهضم ارتباط البرنامج بدولة الإمارات العربية المتحدة، فسددت له سهام الانتقاد والتأثير.



الحبيب الأسود
كاتب تونسي

«كالغيث كن أملا وُجد من دون مقياس، سقيا الجمال تبثها لتطيب أنفاس. طمئن قلوب الناس أن الناس للناس. كالغيث كن سببا لتحبي قلب إنسان. جدّ بالذي تحسنه مهما كان مهما كان، أو ليس يجزي محسن إلا بإحسان. قلبي اطمأن فكلنا كالغيث للغير، ما زالت الدنيا بخير»، بهذه الكلمات تغنى حسين الجسمي في مقدمة برنامج «قلبي اطمأن» الذي يُعرض خلال رمضان الجاري للموسم الثالث على تلفزيون أبوظبي، ليحصل المزيد من النجاح، ويثير المزيد من الجدل، نظرا لخصوصيته التي يتميز بها، وهي تقديمه من قبل شباب يتجول في البلدان، ليساعد الفقراء والمحتاجين.

فتح أبواب الأمل

فكرة البرنامج تتمحور حول شباب إماراتي عابر سديل، يسافر إلى مدن أو قرى في دول عدة، باحثا عن حالات يعينها تم الأعداد سلفا لمساعدتها دون علمها من خلال شبكة علاقات إنسانية واسعة، فيفاجئها بالتقدم إليها بحل مشاكلها المالية أو الطبية أو غيرها، فافتح بذلك أبواب الأمل أمام أناس اعتقدوا أن الحياة بخلت عليهم، ومناهل العطاء والرجاء جفت في وجوههم، وأن الإنسانية نسيتهم أو تناستهم قبل أن تتسرق عليهم شمس المحبة بالمساعدة التي يحتاجون إليها.

أهم قيمة عمل البرنامج على تكريسها هي أن فاعل الخير يمكن أن يقوم بدوره الإنساني دون صخب أو استعراض لنفسه، فالشاب غيث لا تزال الكاميرا تصر على ملاحظته من وراء ودون إبران الملامح وجهه، ولتزداد أهمية الرسالة لم يحدث أن ظهر ذلك الشاب في مقابلة تلفزيونية للكشف عن هويته، كما لم تنتشر الصحف والمجلات أي حوار معه، ولم تظهر صورته على مواقع التواصل الاجتماعي، ليبقى أقرب إلى شخصية الملاك المنقذ أو المساعد دون أن يتمكن أي كان من اكتشاف ملامحه.

كثرة التساؤلات عن تعمد غيث إخفاء وجهه، عبر عنها رجل عراقي في إحدى حلقات الموسم الحالي، بالقول «يقولون إنك لا تترك أحدا يرى وجهك»، ليرد عليه «لكن أنت رأيت»، مشيرا إلى أن «الخير لا يلزم أن يكون له وجه، يمكن

أن يكون إنسانا فقط، ويمكن أن يكون مبدأ»، مردفا «إذا كشفت وجهي ضاعته الفكرة، غيث ليس شخصا، هو كل واحد منا».

في 13 مايو 2018، انطلق البرنامج ليعرض على شبكة التواصل الاجتماعي وقنوات أبوظبي ونور دبي و«أم.بي.سي 1»، وبعد النجاح الكبير الذي حققه، تواصل إنتاجه في شهر رمضان خلال العامين 2019 و2020 مع موسم قصير متميز تضمن 8 حلقات وعرض في نوفمبر 2019، يعرف تلفزيون أبوظبي البرنامج على أنه «رحلة ملؤها الخير والعطاء نعيشها مع غيث الذي يجوب العالم للبحث عن أناس ضاقت بهم الأرض، فيتقدم لمساعدتهم وتغيير حياتهم نحو الأفضل وإدخال الفرحة إلى قلوبهم».

برنامج «قلبي اطمأن» مثل حالة إنسانية استثنائية في شهر رمضان، وأعطى درسا في إمكانية تحويل التلفزيون إلى أداة للتواصل الإنساني

يشرف الهلال الأحمر الإماراتي على رعاية البرنامج ضمن خطته لمساعدة الفقراء والمحتاجين ومد يد العون للأرامل والمرضى وكفالة الأيتام، وتوفير الحاجيات الضرورية كالمسكن ومورد الرزق وفرصة التداوي لمن ضنت عليهم الحياة، أو عذرت بهم الظروف أو انغمست عليهم الأزمات في أوطانهم بالفقر والالام.

وخلال الموسم الحالي من البرنامج، قرر القائمون عليه توسيع دائرة الخير بإطلاق مبادرة كفاءة 10 آلاف بيت، التي يقف وراءها الهلال الأحمر الإماراتي ومبادرة زراعة مليون شجرة ومبادرة إيصال الماء إلى مليون مستفيد ومبادرة توفير 1000 مورد رزق.

وقد كان لافتا أن البرنامج نجح في أول مبادرة أطلقها خلال شهر رمضان المبارك، لهذا العام بكفاءة 10 آلاف بيتيم من 10 دول خلال 5 أيام فقط.

بعد الإعلان عن كفاءة 1000 بيتيم من الأردن في ثاني أيام الشهر الفضيل، وكانت المبادرة قد امتدت إلى دول عدة أبرزها الأردن ولبنان والعراق ومصر والفلبين والبوسنة والهند وسريلانكا وطاجيكستان وكازاخستان.

ويرى المراقبون أن نجاح البرنامج في نيل ثقة أصحاب الخير، دفع بهم إلى تكتيف مساهماتهم في تنفيذ برامجه الخيرية والإنسانية، فالذئع الإماراتي الشهير علي الكعبي قال عبر حسابه الرسمي على تويتر عن البرنامج «بلا منازع هذا البرنامج يكتسح نسبة المشاهدة كلما حل شهر رمضان، عمل الخير لا يجاري كيف إذا كان فاعله مغطى الوجه وهدفه إنساني نبيل».



خير يزعج الإسلاميين

العشرات من القصص المثيرة والمؤثرة عرضها البرنامج من دول عربية وأجنبية، جمع بينها رابط إنساني عميق وإحساس متدفق بمعاناة الناس وقدرة على تحويل تلك القصص إلى دروس ومواعظ وعبر في اتجاه التجاوز نحو الأمل والتفاؤل والطاقة الإيجابية، والتأكيد على أن التضامن والتكافل والمحبة والتسامح ليست مجرد شعارات ترفع، وإنما هي قيم جديرة بالتجسيد على أرض الواقع.

الجدل السياسي

لكن النجاح منقطع النظير للبرنامج، يبدو أنه أزعج أبواق قطر ومنصات الإخوان من التي تعودت على التشكيك في كل ما هو جميل وأصيل ونبيل، وخصوصا عندما يأتي من الإمارات أو من أي بلد مناهض لمشروع الإسلام السياسي وإميراته الخفية والمعلنة ضد الدول العربية، وهو ما تؤكدته المواقف المتحاملة على فكرة البرنامج ودوره في نشر الخير ومساعدة المحتاجين.

فأبواق قطر ومنصات الإخوان الدعائية عملت على أن تحيد بالبرنامج من طبيعته الخيرية والإنسانية إلى دائرة الجدل السياسي في محاولات بائسة للمساس من هالة الضياء القيمي التي أشعت منه وأحاطت به، وذلك بالاعتماد على أدوات التضليل في تقويم الدور الإماراتي المناقض تماما لدور التحالف التركي القطري الإخواني الذي بات معروفا لدى الجميع أن يستغل البافطة الخيرية والإنسانية ليمارس من تحتها دعم الإرهاب والتطرف والجماعات الخارجة عن القانون، ويضع الولاء لمشروعه التخريبي في صدارة شروطه لمساعدة الفقراء والمحتاجين ومن ضاقت بهم السبل.

وفي هذا السياق، قال الكاتب الصومالي أنور ميو في منشور عبر حسابه على فيسبوك «أولا: أنا ضد من ينتقد البرنامج لغرض سياسي مرتبط بهوية المساعد غيث... فالبرنامج إنساني بحت، ويبحث عن أشخاص في دول متضررة بالحرب أو فيها بؤس وفقر مثل اليمن وسوريا والعراق والسودان والمغرب العربي ومصر والأردن».

وقال الناشط عبدالله عبد الغني عبيد «برنامج قلبي اطمأن برنامج يحرك المشاعر ويسعد الفقراء». ويقول الناشط علي طاهر عبده نقلا عن شارماركي وعيس «غيث الإماراتي مقدم برنامج قلبي اطمأن» شمر عن مساعده لإسعاد الكثير من المحتاجين الذين كان يتابع قصصهم».

أما موقف الممثل السعودي ناصر القصبي الذي استغلته بعض الأطراف لمحاولة تشويه البرنامج، فلم يكن مسينا كما يعتقد البعض خصوصا وأنه أكد «البرنامج الإماراتي قلبي اطمأن» حقق نتائج طبية في المواسم السابقة لفكرته الإنسانية النبيلة، كما حصل في حالة الممثل اللبناني الكبير صلاح تيزاني المعروف بشخصية «أبوسليم» الذي تحدث بكثير من التأثير عن وضعه الاجتماعي والمعيشي الصعب، مشيرا إلى أنه لا يمتلك ضمانا صحيا، فقرر غيث أن يعيد الابتسامة والأمل إلى وجهه، وقدم له ضمانا صحيا بالإضافة إلى راتب لمدة سنتين، كما أشار إلى أن التكريم الذي طلبه الفنان اللبناني سيصله لاحقا، مع تأمين علاج زوجته المريضة، وجراحة لصدقيه الممثل اللبناني فؤاد حسن، المعروف بـ«زغلول» أحد أعضاء فرقته الفنية.

العشرات من القصص المثيرة والمؤثرة عرضها البرنامج من دول عربية وأجنبية، جمع بينها رابط إنساني عميق وإحساس متدفق بمعاناة الناس وقدرة على تحويل تلك القصص إلى دروس ومواعظ



طول الطريق لا يثني غيث على استكمال المهمة

ولا شك أن صناع هذا البرنامج مشكورين قد قدموا مساعدات عظيمة للبطء في كل مكان، لكنه رأى أن كرامة بعض الشخصيات التي تمثل رمزية ثقافية أو اجتماعية في مجتمعاتها قد تآبى عليها الظهور في صورة من يبحث عن مساعدة إنسانية كما حصل في حالة الممثل اللبناني الكبير صلاح تيزاني المعروف بشخصية «أبوسليم» الذي تحدث بكثير من التأثير عن وضعه الاجتماعي والمعيشي الصعب، مشيرا إلى أنه لا يمتلك ضمانا صحيا، فقرر غيث أن يعيد الابتسامة والأمل إلى وجهه، وقدم له ضمانا صحيا بالإضافة إلى راتب لمدة سنتين، كما أشار إلى أن التكريم الذي طلبه الفنان اللبناني سيصله لاحقا، مع تأمين علاج زوجته المريضة، وجراحة لصدقيه الممثل اللبناني فؤاد حسن، المعروف بـ«زغلول» أحد أعضاء فرقته الفنية.

التلفزيون أداة للتفاعل

بعض من حاولوا الركوب على تغريدة القصبي، لم يدركوا أنها جاءت من فرط غيرة كفتان على زملائه الفنانين، في ظل إشادة منه بالبرنامج وفكرته ودوره الإنساني، لكن من ناحية ثانية يرى بعض المتابعين أن الشاب الإماراتي كشف من خلال حلقة أبوسليم عن حقيقة تكاد تكون غائبة عن أصحاب القرار في العالم العربي، وهي وضعية الفنانين الذين يعطون الجانب الأكبر من حيواتهم وجهودهم لخدمة مجتمعاتهم وإسعاد شعوبهم، قبل أن يكتشفوا عندما تقدم بهم السن أنهم من دون غطاء صحي أو ضمان اجتماعي أو رصيد مالي يحميهم من غدر الزمان ومن تنكر الساحة الفنية والثقافية وتجاهل الدولة لمعاناتهم.

اليوم هناك إجماع على أن برنامج «قلبي اطمأن» مثل حالة إنسانية استثنائية في شهر رمضان، وأعطى درسا في إمكانية تحويل التلفزيون إلى أداة للتواصل الإنساني وللتفاعل الإيجابي مع فئات مهمة من البشر، ولبت الأمل وإعادة الابتسامة للألاف من الناس من خلال البعد الخيري والإنساني للقوة الناعمة، وهو ما نجحت فيه دولة الإمارات سواء من خلال هذا البرنامج أو من خلال غيره من المبادرات التي تريد لها أن تكون شعاع ضوء يعبر الحدود ليمد حبال العطاء على أبواب رجاء من لا سند لهم قبل أن يتفاجأوا بان الدنيا لا تزال بخير.